

تدبر القرآن وعلاقته بالتفسير د. صالح بن أحمد بن عبد العلو^{*}

اعتمد للنشر في ١٤٤٥/٨/١هـ

سلم البحث في ١٤٤٥/٧/٢هـ

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث قضية مهمة في علوم القرآن، وهي بيان العلاقة بين تدبر القرآن وتفسيره، مع إبراز الفروق بينهما وأهمية كل منهما في تحقيق الغاية من إنزال القرآن الكريم. وينطلق البحث من إشكالية أساسية تتمثل في الخلط الواقع عند كثير من الناس بين المفهومين، وما يترتب على ذلك من ضعف في التعامل الصحيح مع كتاب الله. في التمهيد، عرّف البحث التفسير والتدبر لغةً واصطلاحاً؛ فالتفسير في اللغة هو البيان والكشف والإيضاح، واصطلاحاً هو العلم الذي يُعنى ببيان معاني القرآن الكريم، والكشف عن مراد الله تعالى بحسب الطاقة البشرية، مستعيناً بعلوم متعددة كالنحو والبلاغة وأصول الفقه وأسباب النزول. أما التدبر فهو في اللغة النظر في عواقب الأمور، واصطلاحاً هو التأمل العميق في معاني القرآن، واستحضار دلالاته البعيدة، بقصد الاتعاظ والعمل، مع حضور القلب وخشوعه. ثم تناول البحث في المبحث الأول أهمية تدبر القرآن، مؤكداً أن الغاية الأساسية من إنزال القرآن ليست مجرد التلاوة، بل التدبر والعمل. وقد استدلت على ذلك بآيات كثيرة تُظهر آثار التدبر في النفس، مثل زيادة الإيمان، والخشوع، والبكاء من خشية الله، والتفاعل الوجداني مع الآيات. كما بيّن أن من الأخطاء الشائعة الاعتقاد بأن التدبر خاص بالعلماء، أو أنه يتطلب معرفة دقيقة بعلوم اللغة، وهذا غير صحيح؛ إذ إن كثيراً من معاني القرآن ظاهرة يدركها عامة الناس، مما يجعل التدبر متاحاً للجميع بحسب قدراتهم. وفي المبحث الثاني، عرض البحث الفروق بين التفسير والتدبر، حيث بيّن أن التفسير يركز على فهم المعاني من حيث اللغة والسياق وأسباب النزول، بينما التدبر يركز على تطبيق هذه المعاني في واقع الحياة. فالتفسير عملية علمية منهجية تعتمد على أدوات وضوابط، في حين أن التدبر عملية قلبية عقلية تتطلب حضوراً وتأماً وإخلاصاً. كما خلص البحث إلى أن العلاقة بينهما تكاملية؛ فالتفسير يُعد وسيلة لفهم النص، والتدبر هو الغاية التي تتحقق من خلال هذا الفهم. أما في

* أستاذ مشارك بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

المبحث الثالث، فقد تناول البحث علاقة التدبر بالتفسير، مبيّناً أن التدبر لا يستغني عن التفسير في المواضع التي تحتاج إلى بيان، كما أن التفسير الصحيح يفتح أبواب التدبر. واستدل البحث بآيات مثل قوله تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن}، موضحاً أن التدبر مطلوب شرعاً، وأنه طريق إلى اليقين والإيمان الراسخ، إذ يكشف للإنسان عن انسجام القرآن وخلوه من التناقض، مما يدل على أنه من عند الله. كما عرض أقوال عدد من المفسرين التي تؤكد أن التدبر مفتاح العلوم والمعارف، وأنه سبب في زيادة الإيمان والبصيرة. وفي المبحث الرابع، عرض البحث نماذج تطبيقية تبين استعمال لفظ التدبر في القرآن الكريم، مع تحليل دلالاته في السياقات المختلفة، وأثر السياق في تحديد المعنى. وأوضح أن التدبر قد يكون في القرآن كله أو في آية واحدة، وأنه عملية مستمرة تتطلب النظر في الآيات وربط بعضها ببعض. وفي الخاتمة، يؤكد البحث أن التدبر والتفسير ليسا متعارضين، بل متكاملين؛ فالتفسير يمدّ المسلم بالمعرفة الصحيحة، والتدبر يحوّل هذه المعرفة إلى سلوك وعمل. كما شدد على أن هجر التدبر يعد نوعاً من هجر القرآن، وأن إحياء هذه العبادة كفيل بإصلاح حال المسلمين وزيادة إيمانهم. وبذلك يخلص البحث إلى أن المنهج الأمثل في التعامل مع القرآن هو الجمع بين التفسير لفهم المعنى، والتدبر لتحقيق العمل والتأثر، وهو ما يحقق الغاية التي من أجلها أنزل الله كتابه الكريم.

Abstract:

This research addresses an important issue in the sciences of the Qur'an, which is to explain the relationship between contemplating the Qur'an and interpreting it, highlighting the differences between them and the importance of each of them in achieving the goal of revealing the Holy Qur'an. The research starts from a fundamental problem represented by the confusion that many people have between the two concepts, and the resulting weakness in dealing correctly with the Book of God. In the introduction, the research defined interpretation and contemplation linguistically and terminologically; Interpretation in language is clarification, revelation, and clarification, and terminologically it is the science that is concerned with explaining the meanings of the Holy Qur'an, and revealing the will of God Almighty according to human energy, using multiple sciences such as grammar, rhetoric, principles of jurisprudence, and reasons for revelation. In language, contemplation is looking into the consequences of things. Technically, it is deep contemplation of the meanings of the Qur'an and evoking its distant meanings, with the intention of learning and working, while being present and humble in heart. Then, in the first section, the research addressed the importance of contemplating the Qur'an, emphasizing that the primary purpose of revealing the Qur'an is not merely recitation, but contemplation and action. This is proven by many verses that show the effects of contemplation on the soul, such as increased

faith, humility, crying out of fear of God, and emotional interaction with the verses. He also explained that a common mistake is to believe that contemplation is specific to scholars, or that it requires a thorough knowledge of linguistic sciences. This is incorrect, as many of the meanings of the Qur'an are apparent and understood by the general public, making contemplation available to everyone according to their abilities. In the second section, the research presented the differences between interpretation and contemplation, showing that interpretation focuses on understanding meanings in terms of language, context, and reasons for revelation, while contemplation focuses on applying these meanings in real life. Interpretation is a systematic, scientific process that relies on tools and controls, while contemplation is a heart-mind process that requires presence, contemplation, and sincerity. The research also concluded that the relationship between them is complementary; interpretation is a means to understanding the text, and contemplation is the goal achieved through this understanding. In the third section, the research dealt with the relationship between contemplation and interpretation, indicating that contemplation does not dispense with interpretation in places that need clarification, and that correct interpretation opens the doors to contemplation. The research was supported by verses such as the Almighty's saying: {Do they not contemplate the Qur'an}, explaining that contemplation is required by Islamic law, and that it is a path to certainty and firm faith, as it reveals to a person the harmony of the Qur'an and its freedom from contradiction

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد: فإن القرآن الكريم هو المصدر الأول للهداية والتشريع، وقد أنزله الله تعالى ليتدبر ويعمل به، لا لمجرد التلاوة اللفظية دون فهم أو تأمل، كما قال تعالى: +كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ_. ومن هنا برزت أهمية النظر في العلاقة بين تدبر القرآن الكريم وتفسيره، باعتبارهما طريقين متكاملين لفهم كتاب الله تعالى واستيعاب هداياته، فهما أمران متلازمان في فهم كتاب الله تعالى، ولكنهما يختلفان في منهجية التعامل مع النص القرآني.

فتفسير القرآن يعني الكشف عن المعاني الظاهرة للآيات القرآنية، وتوضيح المراد منها من خلال دراسة اللغة العربية، وأسباب النزول، والسياق التاريخي. يهتم المفسرون بتحليل الكلمات والجمل، واستخلاص الأحكام الفقهية، والقصص القرآني. أما التدبر في القرآن، فيتجاوز التفسير اللفظي إلى فهم أعمق للآيات، واستخلاص المعاني الروحية والتربوية، والتأمل في الحكمة الإلهية. يركز التدبر على

تطبيق الآيات في حياة المسلم، وتحقيق الإيمان والعمل الصالح. يعتبر التدبر عملية مستمرة تتطلب من المسلم أن يعود إلى القرآن باستمرار، ليستخرج منه المعاني الجديدة، ويزيد من فهمه وتطبيقه.

وفي هذا البحث، سنحاول أن نلقي الضوء على الفرق بين تفسير القرآن وتدبره، ونبين أهمية كل منهما في فهم كتاب الله تعالى، وتحقيق الغاية من إنزال القرآن.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في وجود خلطٍ ظاهرٍ عند كثير من الناس بين مفهومي التدبر والتفسير؛ حيث يظن بعضهم أن التدبر هو عين التفسير، أو أن التدبر لا يكون إلا لأهل الاختصاص، فيعرض عامة المسلمين عن تدبر القرآن خشية الوقوع في الخطأ، بينما يتوسّع آخرون في التدبر حتى يخرجوا به عن ضوابط التفسير وأصوله.

كما يثور التساؤل حول طبيعة العلاقة بين التدبر والتفسير:

- هل التدبر غاية مستقلة أم وسيلة؟
 - وهل التفسير شرط لازم للتدبر أم معين عليه؟ وما حدود كل منهما؟
 - وما هي علاقة التفسير بالتدبر؟
 - وهل كل أحد يتدبر القرآن؟ وهل كل أحد يفسره؟
 - وما هي أسباب الخلط بين مفهوم التدبر والتفسير؟
 - وهل من يتدبر ويستنتج في ذهنه معان جديدة يعتبر تفسيراً جديداً أو هو من القول في كلام الله بما لا يعلم؟
 - وهل من الورع ترك التدبر خشية تغيير دلالات القرآن
 - وما هو حال المسلم اليوم مع التدبر؟
 - وما هي نتائج التدبر لو عمل به المسلمون؟
 - وهل هجر التدبر هجر للقرآن؟ وما هي مراتب هجر القرآن؟
 - وما هي ثمرات التدبر؟ وهل يحصل الأجر للقارئ بلا تدبر؟
 - وما علاقة التدبر بزيادة الإيمان؟ وهل ترك التدبر علامة ضعف للإيمان؟
 - وهل يحتاج التدبر إلى معرفة المعاني التفصيلية لألفاظ القرآن أم يكفي الإلمام بالمعنى العام للآيات؟ أم أن عامة القرآن تعرفه العرب بلغتها بالتالي يسهل تدبره؟
- الدراسات السابقة وعلاقة البحث بها:
- أولاً: الدراسات المتعلقة بتدبر القرآن:

ظهرت دراسات ركزت على تدبر القرآن باعتباره غاية من غايات إنزاله، ومن

أبرز محاورها:

- بيان مفهوم التدبر وفضله وأثره في زيادة الإيمان.
- الحديث عن وسائل التدبر ومعوقاته.
- إبراز الجانب التربوي والإيماني للقرآن الكريم.

من هذه الدراسات:

- الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، المؤلف: د. خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
- مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، المؤلف: د. خالد بن عبد الكريم اللاحم، أستاذ القرآن وعلومه المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

مدى علاقتها بالبحث:

تتقاطع هذه الدراسات مع البحث في بيان أهمية التدبر وآثاره، إلا أنها لم تبحث العلاقة المنهجية الدقيقة بين التدبر والتفسير.

ثانياً: الدراسات التي تناولت العلاقة بين التدبر والتفسير

وهي دراسات أقل عدداً، وقد سعت إلى التمييز بين مفهومي التفسير والتدبر.

من هذه الدراسات:

- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.

مدى علاقتها بالبحث:

هذه الدراسات هي الأقرب إلى موضوع البحث، إلا أنها غالباً جاءت مختصرة وغير شاملة لجميع الجوانب، حيث لم تتطرق إلى بيان العلاقة بين مفهوم التدبر والتفسير، ولا إلى معالجة الإشكالات المتعلقة بالخلط بين المفهومين.

تميز البحث:

يتميز هذا البحث بجمعه بين التأصيل العلمي والتطبيق العملي، وبيان العلاقة التكاملية بين التفسير والتدبر، ومعالجة الإشكالات المتعلقة بالخلط بين المفهومين.

الخلاصة: يتبين أن موضوع التدبر والتفسير قد نال عناية من الباحثين، إلا

أن الربط المنهجي الدقيق بينهما ما يزال بحاجة إلى مزيد من البحث.

أهمية البحث:

تتبع أهمية هذا البحث من عدة أمور، من أبرزها:

١. ارتباط موضوعه بكتاب الله تعالى، الذي هو أشرف العلوم وأعلاها قدرًا.
 ٢. الحاجة الملحة إلى إحياء منهج التدبر في واقع المسلمين، وربطهم بالقرآن ربطًا عمليًا مؤثرًا في السلوك والإيمان.
 ٣. تصحيح المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالتدبر والتفسير، وبيان الحدود الفاصلة بينهما.
 ٤. إبراز التكامل بين التفسير والتدبر، وأن التفسير يمدّ التدبر بأدوات الفهم الصحيح، بينما يثمر التدبر أثرًا عمليًا وإيمانيًا.
 ٥. الإسهام في توجيه الباحثين وطلاب العلم إلى المنهج الصحيح في التعامل مع القرآن الكريم.
- منهج البحث:**

- اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال:
- جمع النصوص المتعلقة بالتدبر والتفسير من القرآن الكريم وأقوال العلماء.
 - تحليل المفاهيم الأساسية وبيان دلالاتها اللغوية والاصطلاحية.
 - المقارنة بين التدبر والتفسير من حيث الغاية والمنهج والوسائل.
 - الاستفادة من أقوال المفسرين وأهل العلم في بيان العلاقة بينهما.
 - عرض نماذج تطبيقية توضح كيفية الجمع بين التفسير والتدبر.
- كما سلك المنهج الاستقرائي في تتبع مواضع التدبر في القرآن الكريم، واستنباط دلالاتها، مع الالتزام بالضوابط العلمية في النقل والتوثيق.
- وقد جاءت خطة هذا البحث كالتالي:
- المقدمة:** وفيها مشكلة هذا البحث، وأهميته، وغايته، الدراسات السابقة عليه وعلاقتها به، والمنهج العلمي المتبع فيه، وخطته.
- التمهيد:** وفيه تعريف التدبر والتفسير.
- المبحث الأول:** أهمية تدبر القرآن
- المبحث الثاني:** الفرق بين التدبر والتفسير.
- المبحث الثالث:** علاقة التدبر بالتفسير.
- المبحث الرابع:** نماذج من التدبر والتفسير.
- التمهيد:** تعريف التدبر والتفسير:
- تعريف التفسير:**

التفسير لغة: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه^(١)، وهو مصدر على وزن تفعيل، من "فَسَّرَ يُفَسِّرُ فُسْرًا" والفسر: الإبانة

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٥٠٤).

وكشف المغطى، والتفسير: الكشف والبيان والتوضيح للمعنى المعقول وإزالة إشكاله وكشف مراد الله فيه، قال تعالى: +وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا [الفرقان: ٣٣] أي أحسن توضيحًا وبيانا للمطلوب^(١).

وقال في لسان العرب: "الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسرا وفسره: أبانه، والتفسير مثله. ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد. وقوله عز وجل: +وأحسن تفسيرا_؛ الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"^(٢).

وقال أبو حيان: "وينطلق أيضا التفسير على التعرية للانطلاق. قال ثعلب: تقول فسرت الفرس عربته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري"^(٣).

التفسير اصطلاحاً: يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد؛ لأنه ليس بقواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكتفى في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها.

ويرى آخرون أن التفسير قابل للتعريف كغيره من العلوم: فقد عرفه أبو حيان بأنه: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك"^(٤).

وعرفه الزركشي بأنه: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"^(٥).

وعرفه بعضهم بأنه: "علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية"^(٦).

وقيل فيه: "علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها،

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (ص ٣٩٤).

(٢) لسان العرب (٥/٥٥).

(٣) البحر المحيط في التفسير (١/٢٦٦).

(٤) المرجع السابق (١/٢٦٦).

(٥) البرهان في علوم القرآن (١/١٣).

(٦) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/٣).

ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها^(١).

أو: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ^(٢).

والمختار في تعريفه أنه علم يُكشف به عن معاني آيات القرآن وبيان مراد الله تعالى حسب الطاقة البشرية^(٣).

تعريف التدبر:

إن تدبر القرآن هو أرفع صور تلاوته وترتيبه التي جاءت نصوص القرآن والسنة ببيان فضلها وثوابها، والتدبر هو الذي يساعد قارئ القرآن على النهي من خيراته وفضائله. وإن الغرض الأساس من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر لا مجرد التلاوة على عظم أجرها.

التدبر لغة: دبر الأمر و تدبره نظر في عاقبته و استدبره رأى في عاقبته ما لم ير في صدره وعرف الأمر تدبراً أي بآخره، والتدبير في الأمر أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبير: التفكير فيه، ويقال إن فلانا لو استقبل من أمره ما استدبره لهدى لوجهة أمره أي لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لاسترشد لأمره، والتدبير أن يتدبر الرجل أمره، ويدبره أي ينظر في عواقبه^(٤).

والتدبر: هو التفكير الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة. وقال الزمخشري: "تدبر الأمر: تأمله والنظر في إداره وما يؤل إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً لكان الكثير منه مختلفاً متناقضاً قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه، فكان بعضه بالغاً حد الإعجاز، وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته، وبعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه

(١) الإتيان في علوم القرآن (٤/١٩٤).

(٢) البرهان في علوم القرآن: (١٣/١)، الإتيان في علوم القرآن: (٤/١٦٧).

(٣) مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم (ص ١٥).

(٤) لسان العرب لابن منظور، مادة: (دبر) (٤/٢٧٣).

دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني. وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم، فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائقة لقوى البلغاء وتتاصر صحة معان وصدق إخبار، علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، عالم بما لا يعلمه أحد سواه. فإن قلت: أليس نحو قوله: +فإذا هي ثعبان مبين_، +كأنها جان_، +فوربك لنسئلنهم أجمعين_، +فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان_ من الاختلاف؟ قلت: ليس باختلاف عند المتدبرين^(١).

وقال الميداني: "التدبر هو التفكير الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة"^(٢).

وقال الحسن البصري: "والله ما تدبّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله ما أسقطت منه حرفاً واحداً، وقد والله أسقطه كله، ما ترى القرآن له في خلق ولا عمل"^(٣).

وقال تعالى: +الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ_ [سورة البقرة ١٢١].

وذكر ابن كثير عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "والذي نفسي بيده إنَّ حقَّ تلاوته أن يُحلَّ حلاله، ويُحرّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله"^(٤).

قال الشوكاني: "يتلونه: يعملون بما فيه، فيحللون حلاله، ويحرمون حرامه، فيكون: من تلاه، يتلوه: إذا اتبعه، ومنه قوله تعالى: +وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا_ [سورة الشمس: ٢] تلاها: أي اتبعها"^(٥).

والتعريف المختار في معنى التدبر: هو التفكير والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه وإدراك معانيه وحكمه والمراد منه، مع حضور القلب وخشوع الجوارح، والعمل بمقتضاه. ويكون ذلك بإطالة نظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على فهمه وتعقله، وأن يشتغل القلب في التفكير في معنى ما يلفظه بلسانه، فيعرف من كل آية معناه، ولا يتجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها ومرادها.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/٥٤٠).

(٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل: (ص ١٠).

(٣) سنن سعيد بن منصور: ٢/٤٢٠، شعب الإيمان للبيهقي: ٢/٥٤١، الزهد لابن المبارك: ٢٧٤/١.

(٤) تفسير ابن كثير (١/٢٨٢).

(٥) فتح القدير للشوكاني (١/١٥٨).

المبحث الأول: أهمية تدبر القرآن

علامات التدبر:

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم علامات وصفات تصف حقيقة تدبر القرآن وتوضحه بجلاء من ذلك: +وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ_ [(٨٣) سورة المائدة], +إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ_ [(٢) سورة الأنفال], +وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ_ [(١٢٤) سورة التوبة], +قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ لِلأَذْقَانِ سَجْدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَان وَعِدُّ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا_ [(١٠٧-١٠٩: سورة الإسراء], +وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا_ [(٧٣) سورة الفرقان], +وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ_ [(٥٣) سورة القصص], +اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ_ [(٢٣) سورة الزمر]

فتحصل من الآيات السابقة سبع علامات هي:

- ١ - اجتماع القلب والفكر حين القراءة
- ٢ - البكاء من خشية الله
- ٣ - زيادة الخشوع
- ٤ - زيادة الإيمان
- ٥ - الفرح والاستبشار
- ٦ - القشعريرة خوفا من الله تعالى ثم غلبة الرجاء والسكينة
- ٧ - السجود تعظيما لله عز وجل.

فمن وجد واحدة من هذه الصفات أو أكثر فقد وصل إلى حالة التدبر والتفكير، أما من لم يحصل أيا من هذه العلامات فهو محروم من تدبر القرآن ولم يصل بعد إلى شئ من كنوزه وذخائره. قال إبراهيم التيمي: من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق ألا يكون أوتي علما لأن الله نعت العلماء، ثم تلا قول الله تعالى: +قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سَجْدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَان وَعِدُّ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا_

[١٠٧-١٠٩] سورة الإسراء^(١).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتتشعر جلودهم^(٢).

مفهوم خاطئ لمعنى التدبر:

إن مما يصرف كثيرا من المسلمين عن تدبر القرآن والتفكير فيه وتذكر ما فيه من المعاني العظيمة اعتقادهم صعوبة فهم القرآن وهذا خطأ لمفهوم تدبر القرآن وانصراف عن الغاية التي من أجلها أنزل، فالقرآن أولاً كتاب تربية وتعليم، وكتاب هداية وبصائر لكل الناس، كتاب هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين، كتاب قد يسر الله تعالى فهمه وتدبره كما قال تعالى: **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ** [١٧] سورة القمر].

قال ابن هبيرة: "ومن مكاييد الشيطان تتغيره عباد الله من تدبر القرآن لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر فيقول هذه مخاطرة حتى يقول الإنسان أنا لا أتكلم في القرآن تورعا"^(٣)، قال الشاطبي: "فمن حيث كان القرآن معجزاً أفحم الفصحاء وأعجز البلغاء أن يأتيوا بمثله فذلك لا يخرجهم عن كونه عربياً جارياً على أساليب كلام العرب ميسراً للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى"^(٤).

قال ابن القيم: "من قال إن له تأولاً لا نفهمه ولا نعلمه وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه ففي قلبه منه حرج"^(٥).

وقال الصنعاني: "فإن من قرع سمعه قوله تعالى: **وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا** وأسبغوا الله إن الله غفورٌ رحيمٌ [سورة المزمل: ٢٠] يفهم معناه دون أن يعرف أن (ما) كلمة شرط، و (تقدموا) مجزوم بها لأنه شرطها، و (تجدوه) مجزوم بها لأنه جزاؤها، ومثلها كثير... فياليت شعري! ما الذي خص الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها وفهم تراكيبها ومبانيها.. حتى جعلت كالمقصورات في الخيام.. ولم يبق لنا إلا ترديد ألفاظها وحروفها"^(٦).

إن الصحيح والحق في هذه المسألة، أن القرآن معظمه واضح وبين وظاهر

(١) الزهد لابن المبارك: (ص ٤١)، حلية الأولياء: (٨٨/٥).

(٢) تفسير القرطبي: (١٤٩/١٥).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٧٣/٣).

(٤) الموافقات للشاطبي (٨٠٥/٣).

(٥) التبيين في أقسام القرآن (ص ١٤٤).

(٦) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد (ص ٣٦).

لكل الناس، كما قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: "وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله" (١).

إن فهم الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والعلم بالله واليوم الآخر لا يشترط له فهم المصطلحات العلمية الدقيقة من نحوية وبلاغية وأصولية وفقهية. فمعظم القرآن بين واضح ظاهر يدرك معناه الصغير والكبير، والعالم والامي، فحينما سمع الأعرابي قول الله تعالى: +فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْكُمْ تَتَّقُونَ_ [(٢٣) سورة الذاريات] قال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى أقسم. وحينما أخطأ إمام في قراءة آية النحل +فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ وَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ_ [(٢٦) سورة النحل] قرأها من تحتهم صوب له خطأ امرأة عجوز لا تقرأ ولا تكتب، إن القرآن بين واضح ظاهر وفهمه وفقهه وتدبره ليس صعبا بحيث نغلق عقولنا ونعلق فهمه كله بالرجوع إلى كتب التفسير، فنعمم حكم الأقل على الكل فهذا مفهوم خاطئ وهو نوع من التسوية في تدبر القرآن وفهمه.

إن إغلاق عقولنا عن تدبر القرآن بحجة عدم معرفة تفسيره، والاكتفاء بقراءة ألفاظه مدخل من مداخل الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتداء به. وإذا سلمنا بهذه الحجة فإن العقل والمنطق والحزم والحكمة أنك إذا أشكل عليك معنى آية أن تبادر وتسارع للبحث عن معناها والمراد بها لا أن تغلق عقلك فتقرأ دون تدبر أو تترك القراءة.

المبحث الثاني: الفرق بين التدبر والتفسير (٢)

التفسير والتدبر هما مفهومان مترابطان في علوم القرآن، لكنهما يختلفان في الغاية والمنهج. التفسير يركز على فهم معاني الآيات والكلمات، بينما التدبر يركز على التأمل في هذه المعاني وتطبيقها في الحياة.

فالتفسير:

- هو شرح معاني القرآن الكريم، واستخراج الأحكام والقصص منه.
- يهتم بفهم اللغة العربية، ومعرفة أسباب النزول، والسياق التاريخي للآيات.
- يهدف إلى فهم ما أراد الله من عباده.

(١) تفسير الطبري (٧٥/١)، مقدمة التفسير لابن تيمية (ص ١١٥).
 (٢) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د/مسعود بن سليمان بن ناصر الطيار (ص: ١٨٩: ١٩٨).

- يعتمد على مصادر مثل كتب التفسير، وأقوال الصحابة والتابعين.

والتدبر:

- هو التأمل في معاني الآيات، والتفكر في خلق الله.
- يهتم بتطبيق الآيات في الحياة، واستخراج العبر والفوائد.
- يهدف إلى تغيير السلوك، وتحسين العلاقة مع الله.
- يعتمد على القلب والعقل، ويحتاج إلى صفاء النية وإخلاص القصد.

والفرق بينهما:

- التفسير يركز على الفهم، والتدبر يركز على التطبيق.
 - التفسير يحتاج إلى علم ومعرفة، والتدبر يحتاج إلى قلب وعمل.
- إذاً التفسير أعم من التدبر؛ فالتفسير يزودنا بالمعرفة، والتدبر يجعلنا نطبق هذه المعرفة في حياتنا، فكل مفسر فهو متدبر للقرآن، وليس كل متدبر للقرآن يكون مفسراً، لكنه قد يعتمد على مفسر غيره.

المبحث الثالث: علاقة التدبر بالتفسير

قال البيضاوي: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ _ يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه، وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء. +وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ _ أي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار. +لَوْجِدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا _ من تناقض المعنى وتفاوت النظم، وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل، ومطابقة بعض أخباره المستقبلية للواقع دون بعض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية. ولعل ذكره هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح^(١).

ومن فوائد ابن عاشور في الآية، قال رحمه الله: +أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ _ الفاء تفریع على الكلام السابق المتعلق بهؤلاء المنافقين أو الكفرة الصرحاء وتوليهم المعرض بهم في شأنه بقوله: +ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً _ [النساء: ٨٠]، ويقولهم +طاعة _ [النساء: ٨١]، ثم تدبير العصيان فيما وعدوا بالطاعة في شأنه. ولما كان ذلك كله أثراً من آثار استبطان الكفر، أو الشك، أو اختيار ما هو في نظرهم أولى مما أمروا به، وكان استمرارهم على ذلك، مع ظهور دلائل الدين، منبئاً بقلّة تفهّمهم القرآن، وضعف استفادتهم، كان المقام لتفريع الاستفهام عن قلّة

(١) تفسير البيضاوي (٢/٢٢٥).

تفهمهم. فالاستفهام إنكاري للتوبيخ والتعجيب منهم في استمرار جهلهم مع توقّر أسباب التدبير لديهم.

تحدى الله تعالى هؤلاء بمعاني القرآن، كما تحدّاهم بألفاظه، لبلاغته إذ كان المنافقون قد شكوا في أنّ القرآن من عند الله، فلذلك يظهرون الطاعة بما يأمرهم به، فإذا خرجوا من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم خالفوا ما أمرهم به لعدم ثقتهم، ويشكّون ويشكّون إذا بدا لهم شيء من التعارض، فأمرهم الله تعالى بتدبير القرآن كما قال تعالى: +فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه_ [آل عمران: ٧] الآية. والتدبير مشتقّ من الدبر، أي الظهر، اشتقوا من الدبر فعلاً، فقالوا: تدبّر إذا نظر في دبر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته، فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة.

والتدبير يتعدّى إلى المتأمل فيه بنفسه، يقال: تدبّر الأمر.

فمعنى +يتدبّرون القرآن_ يتأملون دلالاته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنّه من عند الله، وأنّ الذي جاء به صادق.

وسياق هذه الآيات يرجّح حمل التدبّر هنا على المعنى الأول، أي لو تأملوا وتدبّروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولمّا بقوا على فتنهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام.

وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلّا أنّ المعنى الأول أشدّ ارتباطاً بما حكي عنهم من أحوالهم.

وقوله: +ولو كان من عند غير الله_ الخ يجوز أن يكون عطفاً على الجملة الاستفهامية فيكونوا أمروا بالتدبّر في تفاصيله، وأعلموا بما يدلّ على أنّه من عند الله، وذلك انتفاء الاختلاف منه، فيكون الأمر بالتدبّر عامّاً، وهذا جزئيّ من جزئيات التدبّر ذكر هنا انتهازاً لفرصة المناسبة لعمّهم بالاستدلال على صدق الرسول، فيكون زائداً على الإنكار المسوق له الكلام، تعرّض له لأنّه من المهمّ بالنسبة إليهم إذ كانوا في شكّ من أمرهم.

وهذا الإعراب أليق بالمعنى الأول من معنيي التدبّر هنا.

ويجوز أن تكون الجملة حالاً من "القرآن"، ويكون قيّداً للتدبّر، أي ألا يتدبّرون انتفاء الاختلاف منه فيعلمون أنّه من عند الله، وهذا أليق بالمعنى الثاني من معنيي

التدبّر .

ومما يستأنس به للإعراب الأول عدم ذكر هذه الزيادة في الآية المماثلة لهذه من سورة القتال، وهي قوله: +فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال_ إلى قوله: +أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها_ [محمد: ٢٠ ٢٤] وهذه دقائق من تفسير الآية أهملها جميع المفسرين.

والاختلاف يظهر أنه أريد به اختلاف بعضه مع بعض، أي اضطرابه، ويحتمل أنه اختلافه مع أحوالهم: أي لوجدوا فيه اختلافًا بين ما يذكره من أحوالهم وبين الواقع فليكتفوا بذلك في العلم بأنه من عند الله، إذ كان يصف ما في قلوبهم وصف المطلع على الغيوب، وهذا استدلال وجيز وعجيب قصد منه قطع معذرتهم في استمرار كفرهم.

ووصف الاختلاف بالكثير في الطرف الممتع وقوعه بمدلول (لو).
ليعلم المتدبّر أنّ انتقاء الاختلاف من أصله أكبر دليل على أنه من عند الله، وهذا القيد غير معتبر في الطرف المقابل لجواب (لو)، فلا يقدر ذلك الطرف مقيّدًا بقوله: {كثيرًا} بل يقدر هكذا: لكنّه من عند الله فلا اختلاف فيه أصلًا^(١).
ومن فوائد السعدى في الآية، قال رحمه الله: +أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا_.

يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملًا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: +كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ_ وقال تعالى: +أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها_.

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه

(١) التحرير والتنوير (٤/١٩٩ - ٢٠١).

كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فذلك قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِبْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً^(١).

وقال الدكتور فاضل السامرائي حفظه الله: تدبر القرآن وقراءته لها مراتب للتدبر فيمكن أن يقرأ الإنسان القرآن في يومين أو شهر أو يكون له ختمتين في شهر وكان من السلف الصالح من له ختمتان واحدة يقرأها بتأمل يسير وختمة تستغرق أعواماً يتأمل كل حرف وكل كلمة في كتاب الله وبين هاتين المرتبتين درجات أدناها أن يحضر الإنسان ذهنه وهو يقرأ آيات الله تعالى. إذن أولى مراتب التدبر هو حضور الذهن عند قراءة القرآن وليس هناك أدنى منها مرتبة وهؤلاء الذين قال فيهم - صلى الله عليه وسلم - يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم لأنه مجرد قراءة باللسان. بعد هذه المرتبة تأتي مرتبة التفكير بالمعنى وهي أعلى من السابقة ثم تليها مرتبة التأمل في المعاني بحيث يتوقف عند آيات النعيم فيدعو الله تعالى أن يجعله من المنعمين ويتوقف عند آيات العذاب فيدعو الله أن يجنبه العذاب وهكذا كان - صلى الله عليه وسلم - يقرأ القرآن في الصلاة. وهناك مرتبة أعلى من هذه وهي مبنية على سابقتها وهي أن ينظر القارئ في الاستعمالات القرآنية ويعيش في الجو الذي عاش فيه العربي الأول عندما كان يسمع القرآن فيهتز وفي رواية أن الأصمعي كان عنجه دنانير من ذهب وكان يريد الخروج للحج فأراد أن يخبيء الدنانير عند أحد من أصحابه حتى يعود فتأخر في ذلك وقبل خروجه للحج ذهب لصاحبه فوجد أنه خارج للحج أيضاً فاحتار أين يخبيء دنانيره ثم قرر أن يأخذه معه في سفره وفي الطرق خرج على القافلة لصوص وجاء الأصمعي شيخ اللصوص فأكره بإخراج ما معه من مال فأخرج الأصمعي دنانيره وقال سبحان الله هذا رزقه وتلا قوله تعالى +وفي السماء رزقكم وما توعدون- فقال اللص رزقنا في السماء ونحن نطلبه في خسة على الأرض أعيدوا ماله فأعادوا المال الى الأصمعي. وفي الطواف التفت الأصمعي فوجد شيخ اللصوص بجانبه فطلب منه اللص أن يعيد عليه الآية فقرأ الأصمعي +وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فَوَزَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنطَفُونَ-

(١) تفسير السعدي (ص: ١٨٩ - ١٩٠).

(٢٣) الذاريات) فانفض السارق وقال ما الذي أغضب الجليل فجعله يُقسم؟ من هذه القصة يتبين لنا أن العرب كانوا يفهمون ويتلذذون بالعبارة وكانوا إذا أراد أحدهم أن لا يؤمن يضع أصابعه في أذنيه حتى لا يسمع لأنه يعلم أن هذا الكلام ليس كلام بشر ونحن علينا أن نتلمس مواطن الجمال والبيان وإذا أشكل علينا شيء نسأل ولا نتردد فالقرآن حاكم على اللغة وليست اللغة هي الحاكمة على القرآن.

استعمال كلمة تدبر في القرآن الكريم:

وردت هذه الكلمة في أربع مواضع في القرآن الكريم في أربع آيات هي:

- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا _ [محمد: ٢٤]
- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا _ [النساء:

[٨٢]

- أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ _ [٦٨] المؤمنون]

- كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ _ [ص: ٢٩]

ويسأل القارئ عن هذا الاختلاف فلماذا استعمل فعل يتدبرون مرتين واستعمل يدبروا مرتين؟ (يدبروا) اصلها يتدبروا لكن التاء سُكُنَتْ فالتقت مع الدال فأدغمت فيها فصارت يدبروا. عادة ينظر في السياق ولا يجب أن تؤخذ الكلمة بدون سياقها لأن كلام الله تعالى مترابط فهو نزل الى السماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل منجماً.

- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا _ [محمد: ٢٤].

إذا تلونا ما قبلها من قوله تعالى: + وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً مُحْكَمَةً وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةً وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) _ الكلام في الآية عن المنافقين الذين ينظرون نظر المغشي عليه من الموت لمجرد أن قيل لهم أن هناك جهاد ومن شفافية القرآن ولمسه لقلوب الناس أنه يصف المنافقين بأوصاف غير حميدة لا يحبونها فلا يواجههم وإنما يتكلم بصورة الغائب (هم) ثم ينتقل مباشرة لهم فيقوله تعالى: + فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) _ هذه لمسة حنان لعدم قطع الأرحام والعربي حريص عليها ثم قال تعالى (أولئك) لم يقل أنتم المنافقون لأن الكلام ليس فيه إهانة لهم + وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) _ ثم قال تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)} الكلام عنهم ولكنه تعالى استعمل ضمير الغائب حتى لا يثيرهم وهذا نوع من أنواع التريفة فلا يجوز للمسلم أن يقول

هذا كافر وهذا كافر لأن المسلم كالطبيب يجب عليه أن يعالج. جعلها تعالى غائباً لكنهم منافقون فجاء الفعل كاملاً (يتدبرون) لأنهم أي المنافقون بحاجة ليعيدوا النظر مرة بعد مرة في القرآن وهم نافقوا بعد أن سمعوا القرآن مرة بعد مرة ولهذا هم بحاجة للتكرار وللنظر في الآية دبر الآية ومعنى يتدبرون أن ينظرون في كل آية وما بعدها ثم ذكر تعالى في الآية كلمة القرآن، ولما ذكر القرآن كاملاً لم يقل آية أو آيات ولما كان الكلام عن القرآن كاملاً جاء بالفعل كاملاً (يتدبرون). واستعمل التكرير + أم على قلوب أفعالها - كما كان - صلى الله عليه وسلم - يقول (ما بال أقوام) حتى لا يسمي شخصاً بعينه. قال تعالى قلوب وهي نكرة وأفعالها نكرة. ثم قال تعالى: + إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) - هؤلاء منافقون سمعوا القرآن ولهذا يريدون أن يعيدوا النظر في القرآن آية دبر آية.

الآية الثانية في سورة النساء + أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا [(٨٢) النساء]، إذا تتبعنا الآيات في السورة + مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) - تكلمت الآيات عن المنافقين يقولون نطيعك طاعة ثم خاطب تعالى رسوله أن هؤلاء منافقون فأعرض عنهم وتوكل على الله ثم جاءت الآية + أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) - وكان فيه عتاب لهم {لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} فالله تعالى في هذه الآيات يكلم رسوله - صلى الله عليه وسلم - عن المنافقين فهي دعوة غير مباشرة لهم أولئك الذين سمعوا كلام الله ثم أعرضوا عنه وجاءوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقالوا له نطيعك ثم بيئوا أمراً آخر فهؤلاء مدعوون ليتدبروا القرآن فجاء الفعل كاملاً (يتدبرون).

الآية الثالثة في سورة المؤمنون + أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ [(٦٨) المؤمنون]

إذا استعرضنا الآيات من قوله تعالى: + حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجِيرُونَ (٦٤) لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُبْصِرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلِّي عَلَيْكُمْ فَأَكْنُتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَكْصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) - الآيات تتكلم عن الكفار الذين لم يعلنوا إسلامهم وكانوا ينكصون وكانت تنلى عليهم آيات (لم

يقول القرآن) ثم يخاطبهم تعالى في قوله: +أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) _ لم يذكر كلمة القرآن في الآية وإنما قال (القول) وقد يكون القول كلمة أو آية أو بعض آية أو سورة أو القرآن كله ولما استعمل كلمة آيات والقول اجتزأ الفعل أيضاً (يدبّروا) وهذا الفعل حذفته منه النون لوجود الجازم (لم) ثم ألغى الحركة في الفعل الأصلي (يتدبر) سُكنت التاء والتقت بالبدال فأدغمت فيه وهذا فيه نوع من الشدة لأن الدال مشددة والباء مشددة (يدبّروا) فهناك تشديد في المطالبة ولو تأملوا أقل تأمل فجااء اللفظ مناسباً للطلب (المطلوب هو أن يتأملوا أقل تأمل).

الآية الرابعة في سورة ص +كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ _ [(٢٩) ص]

إذا نظرنا في الآيات في السورة من قوله تعالى: +وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) _ الكلام عن الكافرين وليس المنافقين وقد ذكرت الآيات الفريقان: الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين والمتقين والفجار. ثم قال تعالى: +كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) _ نكر الآيات وذكر كتاب ولم يذكر لفظ القرآن. والواو في (ليدبّروا) تعود على الكافرين والمؤمنين لأنه ذكرهم جميعاً في الآيات: الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين والمتقين والفجار فالكل مطلوب منه أقل تدبر. وقال تعالى: +وليتذكر أولو الألباب _ لم يقل ليتذكر لأن أولي الألباب هم الذين يتذكرون فجعلها خاصة بأولي الألباب ففصل (ليتذكر).

وفي الآيات دعوة لكل من ينظر في كتاب الله للتدبر. التأمل قد يكون في آية واحدة والتعقل في آية واحدة أما التدبر فمعناه مواصلة التدبر في الآيات واحدة دُبر الأخرى بدون توقف. وكل كلمة في القرآن الكرين مُرادة في مكانها. والتفكر في شيء هو النظر في ملكوت الله تعالى والتدبر هو تفكر وتأمل في شيء متصل آية دُبر آية^(١).

قال في الأمثل: "خلو القرآن من الاختلاف دليل حي على إعجازه: هذه الآية تخاطب المنافقين وسائر الذين يرتابون من حقيقة القرآن المجيد، وتطلب منهم - بصيغة السؤال - أن يحققوا في خصائص القرآن ليعرفوا بأنفسهم أنّ القرآن وحي منزل،

(١) من برنامج الكلمة وأخواتها، للدكتور فاضل السامرائي، ينظر: جامع لطائف التفسير لعبد الرحمن القماش (١٢٣/٢٥).

ولو لم يكن كذلك لكثير فيه التناقض والاختلاف، وإذا تحقق لديهم عدم وجود الاختلاف، فعليهم أن يذعنوا أنه وحي من الله تعالى.

والتدبر من مادة "دبر"، وهو مؤخر الشيء وعاقبته "والتدبر" المطلوب في هذه الآية هو البحث عن نتائج آثار الشيء، والفرق بين التدبر والتفكير هو أن الأخير يعني التحقيق في علل وخصائص الموجود، أما التدبر فهو التحقيق في نتائجه وآثاره. ونستدل من هذه الآية على عدّة أمور:

١- أن الناس مكلفون بالبحث والتحقيق في أصول الدين والمسائل المشابهة لها، مثل صدق دعوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحقانية القرآن، وأن يتجنبوا التقليد والمحاكاة في مثل هذه الحالات.

٢- أن القرآن -خلافًا لما يظن البعض- قابل للفهم والإدراك للجميع، ولو كان على غير هذه الصورة لما أمر الله بالتدبر فيه.

٣- أحد الأدلة التي تثبت أن القرآن حق، وأنه منزل من الله الحكيم العليم خلوه المطلق من كل تناقض أو اختلاف.

ولتوضيح هذه الحقيقة نقول:

الجوانب الروحية للإنسان تتغير باستمرار، "قانون التكامل" -في الظروف العادية الخالية من الأوضاع الاستثنائية- يستوعب الإنسان وجوانبه الروحية وأفكاره، وبمرور الأيام يتغير بموجب هذا القانون كلام الإنسان وفكره وأحاديثه.

لو أمعنا النظر فيما يكتبه الكتاب، لما وجدنا مؤلفات الكاتب الواحد على نمط واحد، بل أن بداية كل كتاب تختلف أيضًا عن نهايته.

هذا التغيير يزداد سرعة حين يعيش الإنسان في خضم أحداث كبرى كالتى تصاحب إرساء قواعد ثورة فكرية واجتماعية وعقائدية شاملة، الشخص الذي يعيش مثل هذه التحولات الاجتماعية الكبرى لا يستطيع أن يسيطر على وحدة كلامه، ولا يمكنه أن يوجد انسجامًا كاملًا في أقواله، خاصة إذا كان هذا الشخص غير متعلم، وكان ناشئًا في بيئة اجتماعية متخلفة.

والقرآن كتاب نزل خلال مدة (٢٣) عامًا بحسب ما يحتاجه الناس من تربية وتوجيه في الظروف المختلفة، وموضوعات القرآن متنوعة، فهو لا يشبه كتابًا عاديًا متخصصًا في بحث اجتماعي أو سياسي أو فلسفي أو حقوقي أو تاريخي، بل هو يتحدث تارة عن التوحيد وأسرار الخليفة، وتارة يطرح القوانين والأحكام والآداب والسنن، وتارة يقص علينا أخبار الأمم السابقة، وتارة يتناول المواعظ والنصائح والعبادات

وارتباط العبد بخالقه.

وكما يقول (غوستاف لويون): القرآن -كتاب المسلمين السماوي- لا يقتصر على التعاليم الدينية، بل يتناول أيضاً الأحكام السياسية والاجتماعية للمسلمين. مثل هذا الكتاب -بهذه الخصائص- لا يمكن أن يكون عادة خالياً من التناقض والتضاد والاختلاف والتأرجح، أما حين نرى هذا الكتاب -مع كل ذلك متناسقاً متوازنًا في آياته خالياً من كل تضاد واختلاف نستطيع أن نفهم بوضوح- أن هذا الكتاب ليس وليد فكر بشري، بل هو من قبل الله تعالى، كما تذكر الآية الكريمة أعلاه^(١).

قال ابن عادل: "قرأ ابن محيصة: "يَدَّبَّرُونَ": بإدغام التاء في الدال، والأصل: يَدَّبَّرُونَ، وهي مخالفةٌ للسواد والتدبير والتدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها، ودبّر الشيء آخره، ومنه قوله: الإلم تدبّروا أعجاز أمور قذ ولت صدورها، ويقال في فصيح الكلام: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، أي: لو عرفت في صدري ما عرفت من عاقبته، لامتنعت^(٢).

قال القشيري: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)} تدبر إشارة المعاني بغوص الأفكار، واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاستنباط^(٣).

قال البيضاوي: "+أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ_ يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه، وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء. +وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ_ أي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار. +لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا_ من تناقض المعنى وتفاوت النظم، وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل، ومطابقة بعض أخباره المستقبلية للواقع دون بعض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية. ولعل ذكره هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح^(٤).

ومن فوائد ابن عاشور في الآية، قال رحمه الله: "+أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ_ الفاء

(١) الأمثل (٣/٣٤٦ - ٣٤٧)

(٢) تفسير ابن عادل (٦/٥١٨ - ٥١٩).

(٣) لطائف الإشارات (١/٣٥٠).

(٤) تفسير البيضاوي (٢/٢٢٥).

تفريع على الكلام السابق المتعلق بهؤلاء المنافقين أو الكفرة الصرحاء ويتوليهم المعرض بهم في شأنه بقوله: +ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً_ [النساء: ٨٠]، ويقولهم +طاعة_ [النساء: ٨١]، ثم تدبير العصيان فيما وعدوا بالطاعة في شأنه. ولما كان ذلك كله أثرًا من آثار استبطان الكفر، أو الشك، أو اختيار ما هو في نظرهم أولى مما أمروا به، وكان استمرارهم على ذلك، مع ظهور دلائل الدين، منبأ بقلة تفهمهم القرآن، وضعف استفادتهم، كان المقام لتفريع الاستفهام عن قلة تفهمهم.

فالاستفهام إنكاري للتوبيخ والتعجيب منهم في استمرار جهلهم مع توقّر أسباب التدبير لديهم.

تحدّى الله تعالى هؤلاء بمعاني القرآن، كما تحدّاهم بألفاظه، لبلاغته إذ كان المنافقون قد شكوا في أنّ القرآن من عند الله، فلذلك يظهرون الطاعة بما يأمرهم به، فإذا خرجوا من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم خالفوا ما أمرهم به لعدم ثقتهم، ويشكّون ويشكّون إذا بدا لهم شيء من التعارض، فأمرهم الله تعالى بتدبير القرآن كما قال تعالى: +فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه_ [آل عمران: ٧] الآية. والتدبّر مشتقّ من الدبر، أي الظهر، اشتقوا من الدبر فعلاً، فقالوا: تدبّر إذا نظر في دبر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته، فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة.

والتدبّر يتعدّى إلى المتأمل فيه بنفسه، يقال: تدبّر الأمر.

فمعنى +يتدبّرون القرآن_ يتأملون دلالاته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأنّ الذي جاء به صادق.

وسياق هذه الآيات يرجّح حمل التدبّر هنا على المعنى الأول، أي لو تأملوا وتدبّروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولما بقوا على فتنهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام.

وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلا أنّ المعنى الأول أشدّ ارتباطاً بما حكي عنهم من أحوالهم.

وقوله: +ولو كان من عند غير الله_ الخ يجوز أن يكون عطفاً على الجملة الاستفهامية فيكونوا أمرؤ بالتدبّر في تفاصيله، وأعلموا بما يدلّ على أنه من عند الله،

وذلك انتفاء الاختلاف منه، فيكون الأمر بالتدبر عاماً، وهذا جزئي من جزئيات التدبر ذكر هنا انتهازاً لفرصة المناسبة لغمرهم بالاستدلال على صدق الرسول، فيكون زائداً على الإنكار المسوق له الكلام، تعرّض له لأتبه من المهمّ بالنسبة إليهم إذ كانوا في شكّ من أمرهم.

وهذا الإعراب أليق بالمعنى الأول من معنيي التدبر هنا. ويجوز أن تكون الجملة حالاً من "القرآن"، ويكون قيماً للتدبر، أي ألا يتدبرون انتفاء الاختلاف منه فيعلمون أنه من عند الله، وهذا أليق بالمعنى الثاني من معنيي التدبر.

ومما يستأنس به للإعراب الأول عدم ذكر هذه الزيادة في الآية المماثلة لهذه من سورة القتال، وهي قوله: +فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال_ إلى قوله: +أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها_ [محمد: ٢٠ - ٢٤]. والاختلاف يظهر أنه أريد به اختلاف بعضه مع بعض، أي اضطرابه، ويحتمل أنه اختلافه مع أحوالهم: أي لوجدوا فيه اختلافاً بين ما يذكره من أحوالهم وبين الواقع فليكتفوا بذلك في العلم بأنه من عند الله، إذ كان يصف ما في قلوبهم وصفَ المطلع على الغيوب، وهذا استدلال وجيز وعجيب قصد منه قطع معذرتهم في استمرار كفرهم.

ووصف الاختلاف بالكثير في الطرف الممتع وقوعه بمدلول (لو). ليعلم المتدبر أن انتفاء الاختلاف من أصله أكبر دليل على أنه من عند الله، وهذا القيد غير معتبر في الطرف المقابل لجواب (لو)، فلا يقدر ذلك الطرف مقيداً بقوله: {كثيراً} بل يقدر هكذا: لكنّه من عند الله فلا اختلاف فيه أصلاً^(١). ومن فوائد السعدى في الآية، قال رحمه الله: +أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً_.

يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم

(١) التحرير والتنوير (٤/ ١٩٩ - ٢٠١)

عند وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد علماً وعملاً وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: +كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ_ وقال تعالى: +أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا_.

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فذلك قال تعالى: +وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا_ أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً^(١).

وقال الدكتور فاضل السامرائي حفظه الله: تدبر القرآن وقراءته لها مراتب للتدبر فيمكن أن يقرأ الإنسان القرآن في يومين أو شهر أو يكون له ختمتين في شهر وكان من السلف الصالح من له ختمتان واحدة يقرأها بتأمل يسير وختمة تستغرق أعواماً يتأمل كل حرف وكل كلمة في كتاب الله وبين هاتين المرتبتين درجات أدناها أن يحضر الإنسان ذهنه وهو يقرأ آيات الله تعالى. إذن أولى مراتب التدبر هو حضور الذهن عند قراءة القرآن وليس هناك أدنى منها مرتبة وهؤلاء الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم: "يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ"^(٢) لأنه مجرد قراءة باللسان. بعد هذه المرتبة تأتي مرتبة التفكير بالمعنى وهي أعلى من السابقة ثم تليها مرتبة التأمل في المعاني بحيث يتوقف عند آيات النعيم فيدعو الله تعالى أن يجعله من المنعمين ويتوقف عند آيات العذاب فيدعو الله أن يجنبه العذاب وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن في الصلاة. وهناك مرتبة أعلى من هذه وهي مبنية على سابقتها وهي أن ينظر القارئ في الاستعمالات القرآنية ويعيش في الجو الذي عاش فيه العربي الأول عندما كان يسمع القرآن فيهتز وفي رواية أن الأصمعي كان عنجه دنائير من ذهب وكان يريد الخروج للحج فأراد أن يخبيء الدنائير عند أحد من أصحابه حتى يعود فتأخر في ذلك وقبل خروجه للحج ذهب لصاحبه فوجد أنه خارج

(١) تفسير السعدي (ص: ١٨٩ - ١٩٠).

(٢) منقو عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: صحيح البخاري (١٣٧/٤) رقم (٣٣٤٤)، صحيح مسلم (٧٤١/٢) رقم (١٠٦٤).

للحج ايضاً فاحتار أين يخبي دنانيه ثم قرر أن يأخذه معه في سفره وفي الطرق خرج على القافلة لصوص وجاء الأصمعي شيخ اللصوص فأكره بإخراج ما معه من مال فأخرج الأصمعي دنانيه وقال سبحان الله هذا رزقه وتلا قوله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فقال اللص رزقنا في السماء ونحن نطلبه في خسة على الأرض أعيديوا ماله فأعادوا المال الى الأصمعي. وفي الطواف التفت الأصمعي فوجد شيخ اللصوص بجانبه فطلب منه اللص أن يعيد عليه الآية فقراً الأصمعي +وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ [الذاريات] (٢٣) فانتفض السارق وقال ما الذي أغضب الجليل فجعله يُقسم ؟ من هذه القصة يتبين لنا أن العرب كانوا يفهمون ويتلذذون بالعبارة وكانوا إذا أراد أحدهم أن لا يؤمن يضع أصابعه في أذنيه حتى لا يسمع لأنه يعلم أن هذا الكلام ليس كلام بشر ونحن علينا أن نتلمس مواطن الجمال والبيان وإذا أشكل علينا شيء نسأل ولا نتردد فالقرآن حاكم على اللغة وليست اللغة هي الحاكمة على القرآن^(١).

قال في الأمثل: "خلو القرآن من الاختلاف دليل حي على إعجازه: هذه الآية تخاطب المنافقين وسائر الذين يرتابون من حقيقة القرآن المجيد، وتطلب منهم -بصيغة السؤال- أن يحققوا في خصائص القرآن ليعرفوا بأنفسهم أن القرآن وحي منزل، ولو لم يكن كذلك لكثير فيه التناقض والاختلاف، وإذا تحقق لديهم عدم وجود الاختلاف، فعليهم أن يذعنوا أنه وحي من الله تعالى.

والتدبر من مادة "دبر"، وهو مؤخر الشيء وعاقبته "والتدبر" المطلوب في هذه الآية هو البحث عن نتائج آثار الشيء، والفرق بين التدبر والتفكر هو أن الأخير يعني التحقيق في علل وخصائص الموجود، أما التدبر فهو التحقيق في نتائجه وآثاره. ونستدل من هذه الآية على عدة أمور:

١- أن الناس مكلفون بالبحث والتحقيق في أصول الدين والمسائل المشابهة لها، مثل صدق دعوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحقانية القرآن، وأن يتجنبوا التقليد والمحاكاة في مثل هذه الحالات.

٢- أن القرآن -خلافاً لما يظن البعض- قابل للفهم والإدراك للجميع، ولو كان على غير هذه الصورة لما أمر الله بالتدبر فيه.

٣- أحد الأدلة التي تثبت أن القرآن حق، وأنه منزل من الله الحكيم العليم خلوه المطلق

(١) من برنامج الكلمة وأخواتها، للدكتور فاضل السامرائي، ينظر: جامع لطائف التفسير لعبدالرحمن القماش (١٢٣/٢٥).

من كل تناقض أو اختلاف.

ولتوضيح هذه الحقيقة نقول: الجوانب الروحية للإنسان تتغير باستمرار، "قانون التكامل" -في الظروف العادية الخالية من الأوضاع الاستثنائية- يستوعب الإنسان وجوانبه الروحية وأفكاره، وبمرور الأيام يتغير بموجب هذا القانون كلام الإنسان وفكره وأحاديثه.

لو أمعنا النظر فيما يكتبه الكاتب، لما وجدنا مؤلفات الكاتب الواحد على نمط واحد، بل أن بداية كل كتاب تختلف أيضاً عن نهايته.

هذا التغيير يزداد سرعة حين يعيش الإنسان في خضم أحداث كبرى كالتى تصاحب إرساء قواعد ثورة فكرية واجتماعية وعقائدية شاملة، الشخص الذي يعيش مثل هذه التحولات الاجتماعية الكبرى لا يستطيع أن يسيطر على وحدة كلامه، ولا يمكنه أن يوجد انسجاماً كاملاً في أقواله، خاصة إذا كان هذا الشخص غير متعلم، وكان ناشئاً في بيئة اجتماعية متخلفة.

والقرآن كتاب نزل خلال مدة (٢٣) عاماً بحسب ما يحتاجه الناس من تربية وتوجيه في الظروف المختلفة، وموضوعات القرآن متنوعة، فهو لا يشبه كتاباً عادياً متخصصاً في بحث اجتماعي أو سياسي أو فلسفي أو حقوقي أو تاريخي، بل هو يتحدث تارة عن التوحيد وأسرار الخليفة، وتارة يطرح القوانين والأحكام والآداب والسنن، وتارة يقص علينا أخبار الأمم السابقة، وتارة يتناول المواعظ والنصائح والعبادات وارتباط العبد بخالقه.

وكما يقول (غوستاف لوبون): القرآن -كتاب المسلمين السماوي- لا يقتصر على التعاليم الدينية، بل يتناول أيضاً الأحكام السياسية والاجتماعية للمسلمين. مثل هذا الكتاب -بهذه الخصائص- لا يمكن أن يكون عادة خالياً من التناقض والتضاد والاختلاف والتأرجح، أما حين نرى هذا الكتاب -مع كل ذلك متناسقاً متوازناً في آياته خالياً من كل تضاد واختلاف نستطيع أن نفهم بوضوح - أن هذا الكتاب ليس وليد فكر بشري، بل هو من قبل الله تعالى، كما تذكر الآية الكريمة أعلاه^(١).

قال ابن عادل: "قرأ ابن محيصة: "يَدْبُرُونَ": بإدغام التاء في الدال، والأصل: يَتَدَبَّرُونَ، وهي مخالفة للسواد والتدبير والتدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها، ودُبِرُ الشئ آخره، ومنه قوله: إلام تدبّروا أعجاز أمورٍ قيد ولت

(١) الأمثل (٣/٣٤٦ - ٣٤٧).

صُدُورِهَا، وَيَقَالُ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، أَي: لَوْ عَرَفْتُ فِي صَدْرِي مَا عَرَفْتُ مِنْ عَاقِبَتِهِ، لِامْتَنَعْتُ^(١).
قال القشيري: +أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)ـ

تدبر إشارة المعاني بغوص الأفكار، واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاستنباط^(٢).

المبحث الرابع: نماذج من التدبر والتفسير

استعمال كلمة تدبر في القرآن الكريم:

وردت هذه الكلمة في أربع مواضع في القرآن الكريم في أربع آيات هي:

- +أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا_ [(٢٤) محمد]
- +أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا_ [(٨٢) النساء]

- +أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ_ [(٦٨) المؤمنون]

- +كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ_ [(٢٩) ص]

ويسأل القارئ عن هذا الاختلاف فلماذا استعمل فعل يتدبرون مرتين واستعمل يدبروا مرتين ؟ (يدبروا) اصلها يتدبروا لكن التاء سُكِّنَتْ فالتقت مع الدال فادغمت فيها فصارت يدبروا. عادة ينظر في السياق ولا يجب أن تؤخذ الكلمة بدون سياقها لأن كلام الله تعالى مترابط فهو نزل الى السماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل منجماً.

- +أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا_ [(٢٤) محمد].

إذا تلونا ما قبلها من قوله تعالى +وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةً وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوَّ صَدَفُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١)ـ_ الكلام في الآية عن المنافقين الذين ينظرون نظر المغشي عليه من الموت لمجرد أن قيل لهم أن هناك جهاد ومن شفافية القرآن ولمسه لقلوب الناس أنه يصف المنافقين بأوصاف غير حميدة لا يحبونها فلا يواجههم وإنما يتكلم بصورة الغائب (هم) ثم ينتقل مباشرة لهم فيقوله تعالى +فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)ـ_ هذه لمسة حنان لعدم قطع الأرحام والعربي حريص عليها ثم قال تعالى (أولئك) لم يقل أنتم المنافقون لأن الكلام ليس فيه

(١) تفسير ابن عادل (٦/٥١٨ - ٥١٩).

(٢) لطائف الإشارات (١/٣٥٠).

إهانة لهم + أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) _ ثم قال تعالى
 + أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) _ الكلام عنهم ولكنه تعالى استعمل
 ضمير الغائب حتى لا يُثيرهم وهذا نوع من أنواع التربية فلا يجوز للمسلم أن يقول
 هذا كافر وهذا كافر لأن المسلم كالطبيب يجب عليه أن يعالج. جعلها تعالى غائباً
 لكنهم منافقون فجاء الفعل كاملاً (يتدبرون) لأنهم أي المنافقون بحاجة ليعيدوا النظر
 مرة بعد مرة في القرآن وهم نافقوا بعد أن سمعوا القرآن مرة بعد مرة ولهذا هم بحاجة
 للتكرار وللنظر في الآية دبر الآية ومعنى يتدبرون أن ينظرون في كل آية وما بعدها
 ثم ذكر تعالى في الآية كلمة القرآن، ولما ذكر القرآن كاملاً لم يقل آية أو آيات ولما
 كان الكلام عن القرآن كاملاً جاء بالفعل كاملاً (يتدبرون). واستعمل التكرير (أم على
 قلوب أقفالها) كما كان - صلى الله عليه وسلم - يقول (ما بال أقوام) حتى لا يسمي
 شخصاً بعينه. قال تعالى قلوب وهي نكرة وأفعالها نكرة. ثم قال تعالى + إِنَّ الَّذِينَ
 ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) _
 هؤلاء منافقون سمعوا القرآن ولهذا يريدون أن يعيدوا النظر في القرآن آية دبر
 آية.

الآية الثانية في سورة النساء + أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
 لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا _ [(٨٢) النساء] إذا تتبعنا الآيات في السورة + مَنْ يُطِعِ
 الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا
 بَرَّرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) _ تكلمت الآيات عن المنافقين يقولون نطيعك
 طاعة ثم خاطب تعالى رسوله أن هؤلاء منافقون فأعرض عنهم وتوكل على الله ثم
 جاءت الآية + أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا
 (٨٢) _ وكان فيه عتاب لهم + ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً _
 فالله تعالى في هذه الآيات يكلم رسوله - صلى الله عليه وسلم - عن المنافقين فهي
 دعوة غير مباشرة لهم أولئك الذين سمعوا كلام الله ثم أعرضوا عنه وجاءوا الرسول -
 صلى الله عليه وسلم - فقالوا له نطيعك ثم بيّتوا أمراً آخر فهؤلاء مدعوون ليتدبروا
 القرآن فجاء الفعل كاملاً (يتدبرون).

الآية الثالثة في سورة المؤمنون + أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
 آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ _ [(٦٨) المؤمنون]
 إذا استعرضنا الآيات من قوله تعالى: + حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمُ بِالْعَذَابِ إِذَا

هُم يَجَارُونَ (٦٤) لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُبْصِرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكَصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) _ الآيات تتكلم عن الكفار الذين لم يعلنوا إسلامهم وكانوا ينكصون وكانت تنلى عليهم آيات (لم يقل القرآن) ثم يخاطبهم تعالى في قوله: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)} لم يذكر كلمة القرآن في الآية وإنما قال (القول) وقد يكون القول كلمة أو آية أو بعض آية أو سورة أو القرآن كله ولما استعمل كلمة آيات والقول اجتزأ الفعل أيضاً (يدببروا) وهذا الفعل حذف منه النون لوجود الجازم (لم) ثم ألغى الحركة في الفعل الأصلي (يتدبر) سُكِنَتِ التَاءُ وَالتَّقْتِ بِالْدَالِ فَأُدْغِمَتْ فِيهِ وَهَذَا فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الشَّدَةِ لِأَنَّ الدَالَ مَشْدُودٌ وَالبَاءُ مَشْدُودَةٌ (يدببروا) فهناك تشديد في المطالبة ولو تأملوا أقل تأمل فجاء اللفظ مناسباً للطلب (المطلوب هو أن يتأملوا أقل تأمل).

الآية الرابعة في سورة ص + كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ _ [٢٩ ص]

إذا نظرنا في الآيات في السورة من قوله تعالى: + وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) _ الكلام عن الكافرين وليس المنافقين وقد ذكرت الآيات الفريقان: الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين والمتقين والفجار. ثم قال تعالى: + كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) _ ذكر الآيات وذكر كتاب ولم يذكر لفظ القرآن. والواو في (ليدبروا) تعود على الكافرين والمؤمنين لأنه ذكرهم جميعاً في الآيات: الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين والمتقين والفجار فالكل مطلوب منه أقل تدبر. وقال تعالى: + وليتذكر أولو الألباب _ لم يقل ليتذكر لأن أولي الألباب هم الذين يتذكرون فجعلها خاصة بأولي الألباب ففصل (ليتذكر).

وفي الآيات دعوة لكل من ينظر في كتاب الله للتدبر. التأمل قد يكون في آية واحدة والتعقل في آية واحدة أما التدبر فمعناه مواصلة التدبر في الآيات واحدة تدبر الأخرى بدون توقف. وكل كلمة في القرآن الكريم مرادة في مكانها. والتفكر في شيء هو النظر في ملكوت الله تعالى والتدبر هو تفكر وتأمل في شيء متصل آية تدبر آية^(١).

(١) من برنامج الكلمة وأخواتها، للدكتور فاضل السامرائي، ينظر: جامع لطائف التفسير لعبدالرحمن القماش (١٢٣/٢٥).

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين. الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن. زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر. التبيان في أقسام القرآن، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- الأصفهاني، الراغب. مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. شعب الإيمان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م.
- السبوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.
- الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- الطيار، مساعد بن سليمان. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
- القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.
- الزمخشري، محمود. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- السبب، خالد بن عثمان. الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، دار الحضارة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.
- اللاحم، خالد بن عبد الكريم. مفاتيح تدبر القرآن، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- مسلم، مصطفى. مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م.